مقارنة الأديان





تأليف

الدكتور أحمد شلبي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم / جامعة القاهرة
والحائز لوسام الجمهورية "وسام العلوم والفنون" من الطبقة الأولى



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

مقارنة الأديان

٢

المسيحية

اقرأ فى هذه الطبعة الموضوعات الخطيرة التالية :

١ ــ قضية الالوهية كنموذج للمقارنة بين قضايا الاديان .
٢ ــ قضية رفع السيد المسيح الى السماء .
٣ ــ ماذا يقول القسس والمفكرون عن الحياة فى الاديرة .
٤ ــ اسطورة نقل رفات القديس مرقص من البندقية الى القاهرة .
٥ ــ خرافة ظهور السيدة العذراء فى كنيسة الزيتون والمعادى ...

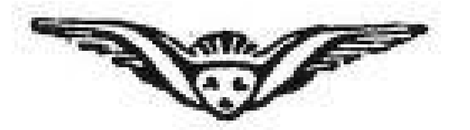
تأليف

الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كمبردج
استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

الطبعة العاشرة ١٩٩٨

مع زيادات واسعة وتحقيقات مهمة



الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى
القاهرة

ذلك وسيوجد عدة مرات ، وهو يزول بشريعة الإسلام الغراء وبالقرآن والحديث وجهود العلماء والمفكرين وعلى هذا فلا وجود لما يسمى المسيح الدجال وهو الرأى الذى يرتضيه أكثر العلماء (١) .

رفع روح عيسى لا جسمه :

ونجىء الآن لإيراد بعض التفاصيل والأدلة التى ترى أن عيسى عليه السلام مات كما مات كل الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وأن جسمه قد دفن كما دفنت أجسام الأنبياء وغيرهم ، وأن الذى رفع هو روحه :

وبادىء ذى بدء أذكر أن ندوة كبيرة أقامتها مجلة « لواء الاسلام » فى أبريل سنة ١٩٦٣ عن هذا الموضوع ، وقد اشترك فيها مجموعة من العلماء الأفذاذ ، واتفق الجميع على مبدأين مهمين هما :

١ — ليس فى القرآن الكريم نص يلزم باعتقاد أن المسيح عليه السلام قد رفع بجسمه الى السماء .

٢ — عودة عيسى عليه السلام جاءت بها أحاديث صحاح ، ولكنها أحاديث آحاد ، وأحاديث الآحاد لا توجب الاعتقاد ، والمسألة هنا اعتقادية فلا تثبت بهذه الأحاديث (٢) .

وسنقتبس مما قاله هؤلاء العلماء بعد قليل عن موت عيسى ودفنه وصعود روحه الى بارئها مع أرواح الأنبياء ، والصديقين والشهداء .

وعلى كل حال فالعلماء الذين يرون أن الذى رفع هو روح عيسى لاجسمه يعتمدون أساسا على الآيات القرآنية التالية :

— **اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك** ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين

---

(١) اقرأ تفسير المنار عند شرح الايات الخاصة بنهاية عيسى على الارض .

(٢) عدد ذى الحجة ، ١٣٨ هـ (ابريل ١٩٦٣) ص ٢٦٢ .

كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم إلىَّ مرجعكم [١] .

فهذه الآية تذكر بوضوح ما سبق أن ذكرناه ، أى وفاة عيسى وتطهيره وحمايته من أعدائه ، وتجعل عيسى ضمن أتباعه إلى الله مرجعهم .

— ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به : أن أعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، **فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم** ، وأنت على كل شىء شهيد [٢] .

وواضح من الآية وفاة عيسى ونهايه رقابته على أتباعه بعد موته وترك الرقابة لله .

— وقوله تعالى حكاية عن عيسى :

والسلام علىَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا [٣]

والآية واضحة الدلالة على أن عيسى ككل البشر يولد ويموت ويبعث ، وكل ما يخالف ذلك تحميل للفظ فوق ما يحتمل .

وقد اشترك فى هذا الرأى كثير من العلماء فى العصور الماضية وفى العصر الحديث ، وفيما يلى نسوق بعض تفاسير لهذه الآيات الكريمة كما نسوق آراء العلماء الأجلاء .

يقول الإمام الرازى [٤] فى تفسير الآية الأولى : انى متوفيك أى **منهى أجلك ، ورافعك أى رافع مرتبتك ورافع روحك الىَّ ، ومطهرك أى مخرجك من بينهم ، ومفرِّقٌ بينك وبينهم** ، وكما عظَّم شأنه بلفظ الرفع

---

(١) آل عمران ٥٥ .
(٢) المائدة ١١٧ .
(٣) سورة مريم الاية ٣٣ .
(٤) تفسير الفخر الرازى .

فيه خبَّر عن معنى التخليص بلفظ التطهير ، وكل هذا يدل على المبالغة فى اعلاء شأنه وتعظيم منزلته ، ويقول فى معنى قوله تعالى : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا » المراد بالفوقية ، الفوقية بالحجة والبرهان ثم يقول : واعلم أن هذه الآية تدل على أن رَفْعه فى قوله : « ورافعك » هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة ، كما أن الفوقية فى هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والمكانة .

ويقول الألوسى [1] أن قوله تعالى : « انى متوفيك » معناها على الأوفق انى مستوف أجلك ، ومميتك موتا طبيعيا ، لا أسلط عليك من يقتلك ، والرفع الذى كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصا وقد جاء بجانبه قوله تعالى : « ومطهرك من الذين كفروا » مما يدل على أن الأمر تشريف وتكريم .

ويرى ابن حزم [2] وهو من فقهاء الظاهر إن الوفاة فى الآيات تعنى الموت الحقيقى ، وأن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، وأن عيسى بناء على هذا قد مات .

وقد تعرض الأستاذ الامام محمد عبده الى آيات الرفع وأحاديث النزول ، فقرر الآية على ظاهرها ، وأن التوفى هو الإماتة العادية ، وأن الرفع يكون بعد ذلك وهو رفع الروح [3] .

ويقول الأستاذ الشيخ محمود شلتوت [4] ان كلمة « توفى » قد وردت فى القرآن كثيرا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى الا بجانبها ما يصرفها

---

(١) انظر روح المعانى للالوسى .
(٢) الفصل فى الاهواء والملل والنحل (عند الكلام عن المسيحية) .
(٣) اقرا تفسير المنار عند شرح الايات السابقة .
(٤) الفتاوى ص ٢ ، وما بعدها .

عن هذا المعنى المتبادر ، ثم يسوق عددا كبيرا من الآيات استعملت فيه هذه الكلمة بمعنى الموت الحقيقى ، ويرى أن المفسرين الذين يلجئون الى القول بأن الوفاة هى النوم أو أن فى قوله تعالى : « متوفيك ورافعك » تقديما وتأخيرا ، يرى أن هؤلاء المفسرين يحملون السياق مالا يحتمل ، تأثرا بالآية « بل رفعه الله اليه » وبالأحاديث التى تفيد نزول عيسى ، ويرد على ذلك بأنه لا داعى لهذا التفكير ، **فالرفع رفع مكانة ، والأحاديث لا تقرر الرفع على الإطلاق .**

ويقول فضيلته إنه إذا استدل البعض بقوله تعالى « وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين [1] » على أن عيسى رفع إلى محل الملائكة المقربين. أجبناه بأن كلمة « المقربين » وردت فى غير موضع من القرآن الكريم دون أن تفيد معنى رفع الجسم ، قال تعالى :

— والسابقون السابقون أولئك المقربون [2] .

— فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم [3] .

— عيناً يشرب بها المقربون [4] .

أما السيد محمد رشيد رضا ، فقد أضاف إلى هذه الدراسة نقطة جديدة هى أن مسألة الرفع بالجسم والروح هى فى الحقيقة عقيدة النصارى ، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامى ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، وفيما يلى نص كلام هذا الباحث الكبير : **ليس فى القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ،**

---

(١) سورة آل عمران الاية ٤٥ .
(٢) سورة الواقعة الايتان ١٠ — ١١ .
(٣) سورة الواقعة الايتان ٨٨ — ٨٩ .
(٤) سورة المطففين الاية ٢٨ .

وإنما هى عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين [١] .

ويضيف هذا الباحث قوله : وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أى واحد من الأنبياء [٢] .

ويتفق الأستاذ أمين عز العرب مع اتجاهات الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا فيقول : أستطيع أن أحكم أن كتاب الله من أوله إلى آخره ليس فيه ما يفيد نزول عيسى [٣] .

ويثير الأستاذ محمد أبو زهرة نقطة دقيقة حول الأحاديث السابقة فيقرر أنها — بالإضافة إلى أنها أحاديث آحاد وليست متواترة — لم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى [٤] ، ويمكن ربط هذا بما ذكره السيد محمد رشيد رضا عن محاولات النصارى ، فإنهم فى خلال هذه القرون كانوا يحاولون إدخال بعض عقائدهم فى الفكر الإسلامى بطريق أو بآخر بدليل أن هذه الأحاديث لم تشتهر فى القرون الثلاثة الأولى مع ما وصلت له العقيدة الإسلامية من دقة وعمق فى هذه القرون ، ويختم الأستاذ محمد أبو زهرة كلامه بقوله إن نصوص القرآن لا تلزمنا بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وإذا اعتقد أحد أن النصوص تفيد هذا وترجحه فله أن يعتقد فى ذات نفسه ولكن له أن يلتزم ولا يلزم [٥] .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى : ليس فى القرآن نص قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حى الآن

١) تفسير المنار ج ١٠ من المجلد الثانى والعشرين .
(٢) تفسير المنار الجزء الثالث .
(٣) لواء الاسلام : العدد السابق ص ٢٧٠ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٦١ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٦٢ — ٢٦٣ .

بجسمه وروحه ، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله ، كما قال تعالى فى إدريس « ورفعناه مكاناً علياً » فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبيـــاء [1]

ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار [2] : إنه لا حجة لمن يقول بأن عيسى رفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر السماء بإزاء قـوله تعالى : « ورافعك إلىّ » وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم فيه ، وإنما السلطان فيه ظاهراً وباطنـا لله تعـالى ، فقوله تعالى « إلىّ » هو كقول الله عن لوط « إنى مهاجر إلى ربى » [3]. فليس معناه أنى مهاجر إلى السماء بل هو على حد قوله تعالى « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله .. » [4].

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب [5] عند تفسير الآية الأولى من الآيات الثلاث الســابقة :

لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من مخالطـة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس .

ونجىء الآن إلى الباحث الأستاذ محمد الغزالى وله فى هذا الموضوع دراسة مستفيضة نقتبس منها بعض فقرات بنصوصها :

ـ أميل إلى أن عيسى مات ، وأنه كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط ، وأن جسمه فى مصيره كأجساد الأنبياء كلها : وتنطبق عليـه الآية « إنك ميت وإنهم ميتون [6] » والآية « وما محمد إلا رسول قد خلت

---

(١) نقلا عن كتاب الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٧٤ .
(٢) قصص الانبياء ص ٥١١ .
(٣) سورة العنكبوت الاية ٢٦ .
(٤) سورة النساء الاية ١٠٠ .
(٥) فى ظلال القرآن الجزء الثالث ص ٨٧ .
(٦) سورة الزمر الاية ٣٠ .

من قبله الرسل (١)» وبهذا يتحقق أن عيسى مات (٢) .

— ومن رأيى أنه خير لنا نحن المسلمين وكتابنا (القرآن الكريم) لم يقل قولا حاسماً أبداً أن عيسى حى بجسده ، خير لنا منعاً للاشتباه من أنه وُلد من غير أب ، وأنه باق على الدوام مما يُرَوِّج لفكرة شائبة الألوهية فيه ، خير لنا أن نرى الرأى الذى يقول إن عيسى مات ، وإنه انتهى ، وإنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلاّ بروحه فقط ، حياة كرامة وحياة رفعة الدرجة .

— وأنتهى من هذا الكلام الى أنى أرى من الآيات التى أقرؤها فى الكتاب أن عيسى مات ، وأن موته حق ، وأنه كموت سائر النبيين (٣) .

ويثير الأستاذ صلاح أبو إسماعيل نقاطاً دقيقة تتصل بالرفع فيقول : إن الله ليس له مكان حسى محدود حتى يكون الرفع حسياً ، وعلى هذا ينبغى تفسير الرفع على أنه رفع القدر وإعلاء المكانة ، ثم إن رفع للجسد قد يستلزم أن هذا الجسد يمكن أن يُرى الآن وأنه يحتاج إلى ما تحتاج إليه الأجسام من طعام وشراب ومن خواص الأجسام على العموم ، وهو مالا يتناسب فى هذا المجال (٤) .

وأحب أن أجيب على من قال إن فى مقدور الله أن يوقف خواص الجسم فى عيسى ، بأن إيقاف خواص الجسم بحيث لا يُرى ولا يأكل ولا يشرب ولا يهرم . . . . معناه العودة إلى الروحانية أو شىء قريب منها ، وذلك قريب أو متفق مع الرأى الذى يعارض رفع عيسى بجسمه .

وبعض الناس يقولون إن عيسى رُفع بجسمه وروحه ، فإذا سئلوا :

---

(١) سورة آل عمران الاية ١٤٤ .
(٢) لواء الاسلام : العدد السابق ص ٢٥٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٥٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٥٨ .

إلى أين ؟ وما العمل فى خواص الجسم ؟ قالوا لا نتعرض لهذا • وهو رد ليني — فيما نرى — شـــافياً •

ونعود إلى الأستاذ صلاح أبو إسماعيل الذى يتساءل قائلا : إذا كان رفع عيسى رفعاً حسيًا معجزة ، فما فائدة وقوعها غير واضحة أمام معاندى المسيح عليه السلام وجاحدى رسالته ؟ وأنا أعتقد « الأستاذ صلاح أبو إسماعيل » أن كلمة « متوفيك » تعنى وعداً من الله بنجـاة عيسى من الصلب ومن القتل كما وعد محمداً عليه الصلاة والسـلام بأن يعصمه من الناس [1] •

* * *

وبعد •• لقد أثيرت هذه المسألة منذ سنين فى فتـوى أجاب عنهـا الأستاذ المراغى والأستاذ شلتوت كما رأينا ، وقد قامت ضجة على إثر إذاعة هذه الفتوى ، شأن كل جديد يخرج للناس ، ومرّ الزمن ورجحت هذه الفكرة وأصبحت شيئًا عاديا يدين بها الغالبية العظمى من المثقفين ، وطالما وقف كاتب هذه السطور يرفـع صـوته بها فى قاعات المحاضرات بأعرق جامعة إسلامية فى العالم وهى جامعة الأزهر وبغيرها من الجامعات وقاعات المحاضرات ، وكان الناس يتقبلون هذه الآراء قبـولا حسـنا ، والذى أرجوه أن يرفق المعارضون فى تلقى الآراء الجديدة ، وأن يفحصوها بروح هادئة •

والله يهدينا سـواء السـبيل •

ونختم هذا البحث بأن نقرر أن الاعتقاد بأن عيسى رفع بجسـمه وروحه اعتقاد متأثر بالفكر المسيحى الذى يرى أن عيسى هو الإله الابن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجـوار أبيه الإله الأب • أمـا المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد ، وأنه فى كل مكان ، وليس جسما ،

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٩ .